الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة حمّه لخضر بالوادي

كلية الآداب و اللغات **قسم اللغة و الأدب العربي**

المستوى: أولى ماستر **التخصص: لسانيات عامة**

محاضرات في مقياس:

تاريخ الدراسات اللغوية القديمة

إعداد : د/ منيرة لعبيدي

المحاضرة الأولى:

الدراسات اللغوية عند الهنود

تمهيد:

يعتبر الهنود هم السابقون في التفكير اللغوي، سواء من ناحية الزمن أو القيمة، مما عرف عن أعمالهم أنها اتسمت ببعض الدقة و الموضوعية، وتواصلوا إلى نتائج تشبه إلى حد بعيد، بعض نتائج اللسانيات الحديثة، وبخاصة في مجال الصوتيات، وقد كان الأدب الهندي يدور حول مواضيع ذات صبغة دينة وذلك لما كان للهندوسية من أثر عميق في نفوس الهنود، لذا ظهرت هذه الدراسات للمحافظة على النصوص المتمثلة في كتب الفيدا (Veda) المقدسة وحماية اللغة السنسكريتية من التحريف.

ولعل هذا الحرص تولد عن شعور بتلك الفوارق اللهجية الموجودة في بلاد الهند القديمة، والتي تظهر في عادات كلامية متباينة من شأنها التأثير في سلامة نطق النصوص المقدسة، أو سوء فهمها، غير أن المثير للاندهاش هو تحول الرغبة الدينية إلى درس منهجي، يتخذ اللغة السنسكريتية موضوعا للدرس، أما عن مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود، فيمكن تفريعها إلى اهتمامات تدخل في صميم النظرية اللسانية العامة، وهي:

- اهتمامات تدخل في علمي الدلالة والمعجم.
- اهتمامات صوتية.
- اهتمامات صرفية ونحوية.

أولا: جهودهم في المستوى الصوتي

كانت الدراسة الصوتية عند الهنود متنوعة وشاملة لمعظم جوانب هذا العلم، ومن جهودهم في هذا المستوى:

1- سمّوا الصوت: أكساهارا؛ أي مالا يتجزأ وهو ما يوافق النظرة الحديثة.

2- قسموا الأصوات إلى: صوامت – صوائت – أنصاف صوائت.

3- قسموا الصوائت إلى: قصيرة – طويلة، وإلى: بسيطة – مركبة.

4- الصوائت: هي الفتحة والضمة والكسرة، واللام والراء المنعكستين.

5- أنصاف الصوائت: وهي الواو والياء.

6- أقاموا دراستهم الصوتية على أساس نطقي

7- توصلوا إلى أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية، والفتح في إنتاج أصوات العلة، والتصنيف في إنتاج الأصوات الاحتكاكية.

8- تحدث الهنود عن كيفية تسرب الهواء من التجويف الحنجري، وذكروا أنه إذا فتح ما بين الوترين الصوتيين، ينتج النفس، وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت، وصرّحوا بأن النفس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة، والصوت في حالة السواكن المجهورة أو العلل.

9- وصفوا الجهاز النطقي من خلال تقسيم أعضاء النطق إلى:

أ/ أعضاء فموية: أسنان – لسان.

ب/ أعضاء غير فموية: مزمار – رئتين، فراغ أنفي.

لم يكتف الهنود بالحديث عن الصوات المفرد، فتحدثوا عن المقطع، وكان حديثهم مفصلا بشكل مثير للدهشة، فتحدثوا عن المقطع وقواعده وكيفية بناءه، وأهم أجزاء المقطع عندهم: الحركة.

10- تحدثوا بإسهاب عن النبر، وهو لديهم من خصائص الصوائت والصوامت.

11- لمّح الهنود إلى وجود ثلاث درجات للنبر، وهي: عالي – متوسط – منخفض.

هناك كلمات لا نبر لها كالأدوات والضمائر.

ويكفي الهنود فخرا أن تكون جهودهم الصوتية هي الأساس الذي يبنى عليه علماء الأصوات المحدثون أفكارهم الصوتية ، يقول برفسور ألن: " إن الاتصال بين الهنود القدماء

والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشد وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو".

ويعترف العلامة فرث الانجليزي أن مدرسة الأصوات الانجليزية لم تنشأ في القرن التاسع عشر إلا على أكتاف المعلومات التي قدمها وليم جونز عن النحاة و الأصواتيين الهنود.

المحاضرة الثانية :جهود الهنود الصرفية و النحوية:

ثانيا: جهودهم في المستوى الصرفي:

يعد العالم ياسكا من أبرز العلماء الهنود الذين اهتموا بالمستوى الصرفي ، وكان ما يلي من أبرز ما وصلوا إليه:

1/ بعضهم يرى أن الصيغ غير الفعلية مشتقة من جذور فعلية.

2/ رأى آخرون أن عددا من الصيغ لا يمكن أن ترد إلى جذور فعلية.

3/ المعربّ عندهم ما يقبل الزيادة في شكل سابقة أو لاحقة.

4/ قسّم بانيني أنواع الكلم إلى: فعل، ليس فعل (يشمل بقية أنواع الكلم).

5/ رأوا أن بعض الجذور بنيت على صوت موجود في الطبيعة (المحاكاة)

ثالثا: جهودهم في المستوى النحوي:

أما في مجال النحو، فإنه من غير المبالغ فيه أن نقول، إن هذا العلم لم يلق من العناية في أي بلد من بلاد العالم مثلما لقيه من الهنود، وقد كان في الهند القديمة ما يقرب من اثني عشرة مدرسة نحوية، مختلفة وأكثر من ثلاثمائة مؤلف في النحو.

ويمثل "بانيني" فترة النضج في الدراسات النحوية عند الهنود، ولذا نال كتابه المسمى: "الأقسام الثمانية" شهرة غطّت على أي مؤلف آخر سبقه أو لحقه، وقد كتب بانيني تأليفه في شكل قواعد مختصرة، وبذل فيه جهدا ضخما للتوفيق بين الآراء والاتجاهات المتعارضة التي كانت موجودة حينئذ.

احتفل به العلماء وترجموه إلى عدة لغات، وقد نال عمل بانيني شهادات التقدير من القدماء والمحدثين على السواء، فقد قال عنه باتنجالي (150 ق.م): " إنه محيط واسع من العلم" . وقال عنه ماكس مولد: " لا يوجد نحو في أي لغة يمكن أن يعادل نحوه " . وقال عنه رو بنز :" بين كل النحاة الهنود يقف اسم " بانيني" متميزا عن غيره"

يعد النحو الذي كتبه "بانيني" عملا تقنيا عظيما لا يشبه الانحاء التقليدي في شيء، بل يشبه إلى حد بعيد قواعد الحساب وقوانين الجبر.

إن عمل "بانيني" عمل شديد التعقيد لا يستطيع أن يفهمه إلا من كان متضلعا ومتخصصا في السنسكريتية، ولا يمكن أن يشرح إلا بالاستعانة بشروح تابعيه، ويحتوي هذا العمل على 4000 قاعدة نحوية، أدرجت كل قاعدة في مكان مناسب، ولا يتسنى فهم أية قاعدة إلا بفهم القواعد السابقة، أما البحوث التي صدرت بعد "بانيني" فلم تكن إلا مجرد شروح وافية تعكس بدقة مبادئ هذا العلامة، ومن أشهر هذه الشروح شرح باتنجالي الموسوم بـ "أعظم الشروح" والمعروف في اللغة الهندية بـ"Machaba-syia".

ويتميز نحو "بانيني" بخصائص ثلاث قد نادى بها من قبل، واتخذها مقاييس موضوعية، في دراسة كل ظاهرة لغوية، وقد تبنت اللسانيات الحديثة هذه المعايير العلمية، وعدتها منطلقات أساسية ومنهجية في كل دراسة لغوية، وهذه المعايير هي كالتالي:

- **الشمولية:** أي الدراسة الشاملة لكل الجوانب المتعلقة باللغة.
- **الانسجام:** أي عدم التناقض الكلي والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية.
- **الاقتصاد:** أي الاقتصاد في استخدام الكلمات، والإيجاز في التعبير عن النتائج؛ وذلك باستعمال أسلوب علمي محض، يسود فيه الاقتصاد وتستعمل فيه رموز الجبر، ويتفادى فيه الحشو والتكرار

ومن جهود الهنود في المستوى النحوي أيضا:

- قدسوا دراسة النحو، حتى قالوا أن الماء أقدس شيء على الأرض، والعتبة المقدسة أكثر قداسة من الماء، ولكن النحو أكثر قداسة حتى من الكتب المقدسة.
- قسموا الكلم إلى أنواع أربعة: الاسم – الفعل – الأداة – حرف الإضافة.
- اهتدى الهنود إلى شروط سلامة الجملة: أن تكون كاملة من حيث الشكل، أن تكون كاملة من حيث المعنى.
- أدركوا أن رصّ الكلمات بجانب بعضها لا يمكن أن يكوّن جملا سليمة، ووضعوا لذلك 03 شروط: التوقع – التجاور – الاختصاص.
- قسموا الاسم إلى: مفرد – مثنى – جمع.
- كما قسموه: مذكر– مؤنث – محايد.
- بينوا انقسام الفعل في لغتهم إلى: ماض – حاضر – مستقبل.
- اهتدوا إلى نوع من الكلمات يجمع بين الخصائص الفعلية والاسمية، وهو ما يقابل عندنا " اسم الفعل"

المحاضرة الثالثة: جهود الهنود في المستوى الدلالي:

رابعا: جهود في المستوى الدلالي

يقود الحديث عن اهتمام الهنود بالدلالة إلى التعريج على أبرز القضايا التي تطرقوا لها والمتمثلة أساسا في :

1-مناقشة مسألة نشأة اللغة وعلاقة الأسماء بالمسميات ، والطريقة التي يتسنى للألفاظ من خلالها اكتساب دلالاتها . والنظرة التي كانت غالب عندهم بهذا الخصوص، وهي أن لغتهم هبة إلهية مقدسة ،أوجدها إلههم (اندرا). وبعد أن أوجدها ربط بين المسميات، سواء كانت أشياء أو حيوانات، وبين الكلمات التي تدل عليها ، أي انه لا دخل للإنسان في وجودها،[1]بينما قال آخرون إنها اختراع انساني

2- في الجدل حول علاقة الدال بالمدلول تحدثوا عن الكملة، والإدراك، والمحتوى

3- الكلمة = الدال – المحتوي = الشيء باعتباره متميزا عن غيره بخصائص (المرجع)

4- الإدراك = الربط بين الكلمة والمحتوى (المدلول)

5- رأى اتجاه أن علاقة الدال بالمدلول : فطرية وقديمة وطبيعية ، بينما ذهب آخرون إلى أنها علاقة عرفية اصطلاحية وارتجالية .

6- قسم النجاة الهنود وعلى راسهم باتنجالي " أنواع الدلالات الى ":

- مادل على حدث : نحو: دون – جعل ....
- مادل على مدلول عام نحو : رجل – امرأة ...
- مادل على كيفية نحو :طويل ذكي – بدين .....
- مادل على ماهية، وهو يظهر على الترتيب في قولنا :

جاء الرجل الطويل محمد.

[1] انواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى-الجزائر، (د ط) (د ت)، ص67

7- تنبهوا الى ما يؤديه السياق من دور هام في ضبط الدلالة والوصول الى المعنى، وما يمكن أن تسهم به مختلف الوان المجاز في تغيير الدلالة.

المحاضرة الرابعة: جهود الهنود المعجمية:

خامسا :جهودهم في المستوي المعجمي

لم يهتم الهنود بالدراسة المعجمية والظاهر أن سبب ذلك، الخوف على نطق السنسكريتية، كان أكثر وأقوى درجة من الخوف على عدم فهمها ، ولكونها لغة فئة معينة، وليست لغة عامة الشعب ،ولعل أولى الأعمال القليلة في هذا المجال ، بدأت في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة (الفيدا) ، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح لمعناه، ويمكن أن نعتبر هذا العمل من نوع " معاجم الموضوعات " أو : معاجم المعاني " وبعد ذلك ظهرت كتب لا تقتصر نفسها على ألفاظ النصوص المقدسة. وأقدم ما وصلنا من هذه الكتب : معجم ظهر في القرن السادس ميلادي أو ماقبله، لمؤلف بوذي اسمه : أماراسنها :" amara sinha " وقد ضم هذا المعجم (وسمه أماراكوزا) جزءا ضم الكلمات المترادفات ، وجزءا في كلمات المشترك اللفظي ، وجزءا من الكلمات غير المتصرفة ، والكلمات المذكرة أو المؤنثة أو المحايدة ، ويعيب هذ الكتاب وأمثاله أنه كتب في شكل منظومة ليسهل حفظه ، وأنه لم يتبع أي ترتيب ييسر اللجوء إليه، والعثور على المراد بسرعة، فيما عدا المشترك اللفظي الذي رتب بحسب الحروف الساكنة في أواخر الكلمات.

المحاضرة الخامسة:

الدراسات اللغوية عند اليونانيين

تمهيد :

في القرن السادس قبل الميلاد ، بدأ الفكر الإغريقي يتبلور في جميع الميادين ، وقد أدت العبقرية الإغريقية دورا عظيما في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة .

لم يكن اليونانيون روادا ا للأوربيين في علم اللسان وحده ، فآثارهم في جميع مناحي التفكير الحضاري واضحة الملامح والمعالم ، وانعكاسات جهودهم بادية في الفكر الأوربي الوسيط والمعاصر على حد سواء ، ويبدو أن اليونانيين وهم ينتبهون إلى الظاهرة اللسانية بوصفها جانبا من جوانب الحياة الإنسانية كانوا يقفون موقف المندهش الذي يلح في طرح الأسئلة بخصوص القضايا التي يراها غيرهم بديهية تأخذ مع التسليم ، لذا اصطبغ الدرس اللساني عندهم بصبغة جدلية في شكل محاورات فلسفية بين أعلام الفكر الإغريقي القديم ، ومن ناحية ثانية كانوا على وعي بوجود شعوب تتحدث بلغات أخرى غير الإغريقية ، كما أدركوا الفوارق اللهجية ، بين أبناء المجتمع الواحد ، وهو ما لمّح إليه " هيرودوت " من خلال إيراده لكلمات غير قليلة أجنبية وناقشها وعلل لأصلها ، بل سلم أفلاطون بالأصل الأجنبي لكلمات يونانية كثيرة ، ولا بد أن نذكر في هذا المقام موقفهم العام من لغات المجتمعات الأخرى التي وسموها بالبربر أو الذين يتكلمون بغير إفهام .

كما أكدوا على دور اللغة في الوحدة القومية والتصدي للأخطار الخارجية، وهو ما أشار اليه " هيرودوت " بقوله : " إن المجتمع اليوناني بأكمله تربطه صلة الدم الواحد واللسان الواحد " .

أما الأبجدية الاغريقية فقد تم استنباطها في الألف الأولى قبل الميلاد لتناسب اللهجة الأتيكية ، وقد سجل الإغريق هذا الحدث الهام في شكل أسطوري .

أولا : جهودهم في المستوى الصوتي :

إن اهتمامهم بالدراسة الصوتية يتبدى بخاصة في نظام الكتابة ، والأمر الذي لا يخفى على أحد أن الكتابة اليونانية تستمد أصولها من الكتابة الفينيقية التي انتشرت في الأمصار اليونانية بفضل الحركة التجارية الواسعة للفينيقيين ، في أراضي اليونان وما حولها .

إلا أن نظام الكتابة عند الفنيقيين بالصورة التي وصل بها إلى اليونان ، اقتصر على الأصوات الصامتة ، الأمر الذي جعل اليونانيين يضيفوا نسقا خاصا ترمزي بالأصوات الصائته مع الاحتفاظ بأسماء الحروف الكنعانية ، وهي المألوفة في الكتابة الفينيقية : ألف (alphaَ) ، بيتا (béta) ، جاما (gamma) ..أي ميزوا بين الصوامت والصوائت .

كما عالجوا بشيء يشبه الدقة العلمية الحديثة الوحدات الفنولوجية : كالمقطع والفونيم ، وارتكز وصفهم على أبجديتهم الخاصة في حين أهملوا اللغات الأخرى إهمالهم للشعوب الناطقة لها .

أما أفلاطون فقد تمثلت مساعيه في تمييز أنواع الفونيمات ، هي : الصوائت مقابل الصوامت ، وهذه الأخيرة عنده ، منها الوقفي ومنها الاستمراري والصوامت الوقفية لا يمكن نطقها دون صائت مجاور ، كما كان على وعي بالفروقات الدلالية الناتجة عن اختلاف مواضع النبر في الكلمات التي لها تتابعات متشابهة من الأجزاء والحروف .

ويتزايد الاهتمام الصوتي عند الرواقيين من خلال معالجتهم للظاهرة المقطعية ، والنبر في اللغة اليونانية ، مما يمكن أن يساعد علماء الصوتيات الحديثة في إعادة النظام الفنولوجية لهذه اللغة القديمة .

وحسب روبينز ، فإن الرواقيين ميزوا بين ثلاثة مظاهر لكل حرف مكتوب قيمته الصوتية مثل [a] ، وشكله المكتوب مثل a والاسم الذي يدعى به مثل ألفا (Alpha).

أما أرسطو فكان يملك رصيدا معرفيا في مجال الدراسة الصوتية ، وهو رصيد يدل على وعي عميق بالقيمة العلمية للتحليل الصوتي فيرى أن:

1- الحرف : هو صوت غير قابل للتحليل إلى وحدة أصغر (لا يتجزأ) ، وهو قابل في ذاته أن يدخل في تركيب صوت معقد .

2- تتكون الأبجدية من حروف صائته ومتوسطة وصامتة ، ويعرّف :

- الحرف الصائت : هو صوت مسموع يظهر دون إحداث حركة في اللسان أو الشفتين (أي أن الصوت الصائت يحدث حينما يمر الهواء في المجرى الصوتي دون أن يعترض سبيله أي عائق عضوي .

- الحرف المتوسط : هو الصوت المسموع الذي يحدث بفضل تقارب في اللسان أو الشفتين مثل : السين و الراء .

- الحرف الصامت : لا يملك أي صوت لكن يكون مسموعا إذا رافقه حرف صائت.

كما تطرق أرسطو الى تعريف المقطع فقال : هو صوت مجرد يخلو من أي دلالة في ذاته ، وهو يتكون أساسا من صوتين ، أحدهما صامت والآخر صائت .

ومن جهود الإغريق في ميدان الصوتيات أيضا :

- قسموا الصوامت إلى – أشباه صائته – مطلقة .
- عرفوا الصوامت المزدوجة : (Ksi-Psi) ، وميزوها عن الصوامت المفردة .
- عرفوا الصوائت البسيطة والمركبة ، وميزوا بين الصوائت الطويلة والقصيرة .

المحاضرة السادسة:

ثانيا : جهودهم في المستوى الصرفي :

يمكن القول أن جهود اليونان الصرفية كانت تأسيسا للجهود النحوية التي تأخرت زمنيا بالنسبة للأولى بحوالي قرنين من الزمن ، ذلك أن العناية بالأولى كانت بالكلمة بوصفها كيانا مفردا ، رغم وجود جهود فردية متقطعة عنيت بمعالجة الفئات النحوية .

ومن جهودهم في المستوى الصرفي أن اكتشف أرسطو صيغ الفعل المختلفة في اللغة الإغريقية ، وأكد على أن التغيرات المنتظمة في أشكال الفعل ترتبط ارتباط وثيقا بمفهوم زمن حدوثه ، وتدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

وقام الرواقيون بتطوير ظاهرة التصريف (injection) ، وجاؤوا لأول مرة بمصطلح " الحالة الاعرابية " (case) ، كما أدركوا أن هناك عاملا آخر الى جانب عامل الزمن ، يؤثر في تحديد شكل الأفعال الإغريقية : كالأفعال التامة . وميزوا بين صيغ المعلوم والمجهول والأفعال اللازمة والمتعدية ، وقام العالم الإسكندري ثراكس بتصنيف مفردات اللغة الإغريقية حسب الحالة الإعرابية ، والجنس ، والعدد وصيغة الفعل وصيغة الزمان ، وصيغة المعلوم والمجهول .

وبالنسبة للفعل عالج " ديونيسون " الزمن ودلالته في صيغة ثلاثية هي : (الماضي / المستقبل / الحاضر) . ونلاحظ أن الماضي وحده مقسم الى أربعة أنواع (متناقص / تام بعيد / تام قريب / ماضي بسيط) .

المحاضرة السابعة :

ثالثا : جهودهم في المستوى النحوي:

يكمن الهدف من وراء تعليم النحو عند النجاة الاغريق في تلقين المتعلم فنون الكتابة والكلام ، ويعود النحو التقليدي اليوناني الى القرن الخامس ق . م ، وكان مرتبطا بالفلسفة والمنطق بشكل عميق ، حيث عرف عن هؤلاء النجاة ، الإغريق أنهم ولعوا بالنظر العقلي والمنطقي في اللغة والنحو ، يقول عنهم ليونز :" إنهم عدوا النحو جزءا لا يتجزأ من الفلسفة ، وبالتالي من البحث العام في طبيعة العالم الذي يحيط بهم ، والنواميس الاجتماعية التي تتحكم فيهم " .

وفي مجال القواعد ركز اليونانيون جهودهم النحوية على اللغة المكتوبة التي اعتمدها المؤلفون الكلاسيكيون في العصر الآتيكي .

ويعد أفلاطون اول من تحدث بإسهاب عن النحو الاغريقي وقواعده بطريقة جدية ، وبين وجود أصل أجنبي لعدد كبير من المفردات الإغريقية ، وقسم الجملة الى اسمية وفعلية ، واكتفى بالتمييز بين الأسماء والافعال ، ورأى أن الأسماء هي العبارات التي تدل عمن يقوم بالحدث في الجملة ، وأن الأفعال هي العبارات التي تدل على حدث أو صفة في الجملة . وبهذا يكون قد عد الأفعال والصفات قسما واحدا .

أما ارسطو (384 – 322 ق . م) ، فتتلمذ على يد أفلاطون ، وتفوق على باقي التلاميذ ، فنال شهرة كبيرة لم ينافسه فيها أحد قط ، وأصبح يعرف اليوم " بأب القواعد الغربية " ، وقد خالف أستاذه في أمور كثيرة ، منها النظرة الفلسفية للكون وأصل اللغة وطبيعتها .

وإذا كان أفلاطون قد قسم الكلام إلى اسم وفعل فإن أرسطو أضاف الى هذا التقسيم نوعا ثالثا هو " السند السموي " ، أوما عرف لاحقا بالرابط والأداة والضمير ، وهو يشمل كل الكلمات التي تخرج عن نطاق الأسماء والافعال .

وفيما يتعلق بمصطلح الجنس ، فقد أتى بكلمة بديلة لما أتى به "بروتوغوراس " ، وأطلق عليها اسم " المحايد " " neither " أي الجنس الثالث ، وأصبحت فيما بعد تعرف في اللغة اللاتينية ب " neuter " .

وفوق هذا مزج أرسطو النحوي بالمنطق ، وظل هذا المزج يصبغ النحو التقليدي برمته إلى يومنا هذا . ومن آثار هذا المزج أن أصبح للقوانين النحوية ، ما يقابلها من المصطلحات الفلسفية ، وصار للتقسيم المنطقي ما يناظره في التقسيم النحوي : فالجوهر يقابل الاسم ، والكيف يقابل الصفة ، والكم يقابل العدد ، والاضافة تقابل أفعال التفضيل ، والأين تقابل المكان والمتى تقابل الزمان ...الخ .

ومن أبرز النجاة الإغريق أيضا " بروتاغورس " ، وهو من السوفسطائيين الاغريق الأوائل ، بدأ التفكير في القضايا اللغوية في القرن 5 ق . م ، وقيل أنه أول من قام بتمييز الأجناس الثلاثة في اللغة الاغريقية : المذكر ، المؤنث ، والوسط . وقسم الجمل إلى أنواع حسب الوظائف الدلالية العامة للتراكيب النحوية الخاصة : مثل : الإثبات و الأمر، والسؤال ، والنهي .

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ، تطالعنا المدرسة الرواقية ، وهي أهم مدرسة فلسفية في أثينا بعد أرسطو ، وذلك لعنايتها القصوى بالمسائل اللغوية والفلسفية ، وقد أسس هذه المدرسة المفكر العبقري زينون (zeno) في سنة 308 ق . م ،حيث ميزت هذه المدرسة بين أربعة أقسام للكلام ، الاسم – الفعل – الحرف – الرابط ، وقسموا الاسم إلى قسمين : اسم جنس واسم علم ، وادرجوا الصفة في قالب الأسماء ، وطوروا ظاهرة التصريف ، وجاؤوا لأول مرة بمصطلح " الحالة الاعرابية " (case) .

والرواقيون هم أول من وضع النظام الأرسطي لتصنيف الكلمات والفئات النحوية التي وضعها أرسطو توضيحا أكبر في اتجاهين الأول توسيع الأنواع ، والثاني تقدير التعريفات الدقيقة للفئات النحوية .

وفي حديثنا على الجهود النحوية عند اليونان ، فإننا سنكون مجبرين على التوقف مع علماء الإسكندرية .

امتد عهد الإسكندرية من 300 الى 150 ق . م ، وبلغت فيه الدراسات اللغوية الاغريقية أوجها ، وابتكرت فيه الكتابة . مع بداية القرن 3 ق . م . أسست أكبر مدرسة في الإسكندرية ، وكانت مدينة الإسكندرية مستعمرة إغريقية ، وظلت أعمال هذه المدرسة تشع على العالم ردحا طويلا من الزمن ، وعلماء الإسكندرية ناصروا النظرية القياسية وطبقوها في تنقيح النصوص الهوميرية وعلى رأسهم " ثراكس " .

وفي القرن 2 ق . م ألف العالم الاسكندري الشهير " ثراكس " ، كتابا في النحو الإغريقي بعنوان " تكنو قراماتيكي " ، ويعد هذا المؤلف أحسن عمل في العالم الغربي ، وهو مؤلف من 25 قسم ، ومن أهم ما جاء في هذا الكتاب تقسيم الكلام إلى ثمانية أقسام :

– الاسم – الفعل اسم الفاعل والمفعول – أداة تعريف او تنكير – الضمير – حرف الجر – الظرف – الرابط .

بدأ ثراكس بعرض شامل عن الدراسات النحوية عند الإسكندرانيين، ثم أضاف قائلا :" النحو هو المعرفة العلمية للاستعمالات العامة لكل من الشعراء والكتاب ". وقد قام ثراكس أيضا ، بتطوير القواعد النحوية ، وتصنيف مفردات اللغة الاغريقية حسب :– الحالة الاعرابية – الجنس – العدد – صيغة الفعل – صيغة الزمان – صيغة المعلوم والمجهول .

ومن أشهر علماء الإسكندرية أيضا ، " أريستا خوس " هذا الأخير اعتنى بدراسة المسائل النحوية ، وتحقيق النصوص الهوميرية الكلاسيكية ويكفيه فخرا أن تتلمذ على يده اللغوي الشهير " ثراكس " .

المحاضرة الثامنة:

رابعا : جهودهم في المستوى الدلالي :

إذا عدنا إلى التراث اليوناني وجدناه حافلا بمختلف القضايا والنقاشات المرتبطة باللغة عموما والدرس الدلالي والبحث في المعنى على وجه الخصوص .

ومن المسائل المثيرة للانتباه ، ذلك الجدل الذي دام عدة قرون بين علماء الإغريق حول نشأة اللغة ، فلقد تساءلوا عن ماهية اللغة، وعن أصلها ، وعن ماهية الكلمة ، وتساءلوا :هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة والشي الذي ترمز إليه ؟ هل تعلق المعاني بالكلمة تعلق بالطبع أم بالاصطلاح ؟ وقد أدى بهم هذا الجدال إلى الانقسام إلى فريقين .

أ- الطبيعيون : يتزعمهم أفلاطون وهيرقليطس يرون أن اللغة إلهام وموهبة نشأت مع الإنسان فالألفاظ تتطابق مع مسمياتها .

ب- الإصطلاحيون : بزعامة أرسطو وديموقريطس ، يقولون أن اللغة اصطلاح بشري .

ومن هذا الاختلاف نشأ فريقان :

أ- القياسيون : هم الطبيعيون لأنهم يرون أن القياس يشمل كل الظواهر اللغوية.

ب- الشذوذيون : لم ينفوا القياس عن اللغة لكنهم نبهوا إلى وجود عدد من الظواهر اللغوية التي لا تقاس .

بخصوص الرأي الأول الذي ذهب الى النشأة الطبيعية للغة اعتمد على فكرة المحاكاة الصوتية والبحث على الأصل الطبيعي للكلمات .

أما العرفيون فقد أشاروا إلى كفاءة اللغة وقدرتها على التعبير والتحول في إطار المجتمع ، وقد ذكر أرسطو أن اللغة " نتاج العرف ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي ".

ونجد موقفا وسطيا يجمع بين هذه الثنائية هو موقف " أبيقور " (341 – 370 ق م) الذي اعتقد أن صيغ الكلمات قد نشأت بشكل طبيعي ثم تغيرت بالعرف .

ونجد أرسطو يوضح موقفه من طبيعة العلامة اللغوية في علاقة اللفظ بمعناه ، من خلال الفصل الأول من كتابه (التفسير) ، حيث يرى أن الكلمات المنطوقة تمثل : " رمزا أو إشارات كالانفعالات أو الانطباعات النابعة من الروح، بينما تمثل الكلمات المكتوبة ، رموزا للكلمات المنطوقة ، والكتابة مثلها مثل الكلام ، تختلف بين الأجناس البشرية ، بيد أن الانفعالات الذهنية ذاتها " .

وهذا النص يعبر عن معنى الاعتباطية التي التقطها دي سوسير وأمثاله ، وبنوا عليه الفكر اللغوي الغربي الحديث .

وقضية أخرى لها أبعاد دلالية كان أرسطو قد ناقشها ، وتتعلق بنظرته للكلام ، فالكلام عنده: " لفظ مفيد يحتوي هذا الجزء منه أو ذلك على المعنى " ، فيرى أن الكلام الذي تمثله العبارة لا بد من أن ترتبط بدلالة ما ، وتتبع تلك الأهمية التي يوليها أرسطو للكلام برأيه من الوظيفة التي يؤديها وهي المحاكاة ، ولا سيما في الشعر الذي يعتبر الفن الوحيد الذي يعول فيه الشاعر على اللغة وحدها في النقل والمحاكاة .

ولا يقف أرسطو عند هذا الحد ، بل انه يتطرق لمسألتين هامتين وذات ارتباط وثيق بينهما :

* المسألة الأولى : يرى ان اللغة في تكوينها عبارة عن " كلمات لا تعد ان تكون علامات او رموز لمختزنات ذهنية سماها (انفعالات الروح) ، والتي تمثل في حقيقة امرها سوى نسخ عن الأشياء الخارجية " ، وهذه النظرة الثلاثية الابعاد للعلامة ظلت سارية الى اليوم مع تحفظ الغربيين على بعض مكونات العلامة ، ونعني (المرجع – الشي) .

* والمسألة الثانية : أن عملية التفاهم بين الناس تتم عبر الأذهان ، ولكنها مشروطة بتوحد العادات اللفظية .

المحاضرة التاسعة:

خامسا : جهودهم في المستوى المعجمي :

وفي عهد الرواقيين فصلت الدراسة اللغوية عن الفلسفية ، واعتبروا الدراسة اللغوية فرعا مستقلا تحت الحقل الواسع المسمى " philosophia "

وكانت الدراسة اللغوية في عهدهم تدرس في إطار قائم على فروع ثلاثة : فرع البحوث الصوتية، وفرع البحوث النحوية ، وفرع التأثيل أوالدراسة التأصيلية من خلال البحث التاريخي في الألفاظ ، ودلالتها ، وسموه " الإتيمولوجيا "، وهو الاسم الذي يعرف به عند الغربيين اليوم ، هذا الفرع الذي عرفه اليونانيون أنفسهم بكونه " تفتح الكلمات الذي من خلاله تبدو معانيها الأصلية جلية " . وكان هذا الاهتمام في ظل الدراسة الدلالية أساسه مبنى على الأساطير اليونانية ، والمعتقدات الوثنية التي ورثها ، فصارت مع مرور الوقت حقيقة ، وهي أن هذه اللغة اليونانية من منظور الطبيعة : " هبة الآلهة لبني الإنسان " ، ومن ثم راحوا بناء على اهتمامهم بفرع الاتيمولوجيا يبحثون عن هذا اللغز المحير : كيف استطاعت هذه اللغة التي كانت ، في بداية أمرها ، معدودة الألفاظ أن تستوعب كل مظاهر الحياة ، فتكونت مع مرور الزمن ثروة القاموس اليوناني .

يقول بلومفيلد في كتابه " language " : كان القياسيون يعتقدون أنه من الممكن تتبع أصل الكلمات ، ومعناها بالنظر في أشكالها ، وسموا البحث في هذا : " الاشتقاق " ، ومثل بلوفيلد بأمثلة من الإنجليزية ، قال من الواضح أن كلمة black bird تتكون من black و bird ، فهذا النوع من الطير إذن قد يسمى بهذا الاسم من أجل لونه الأسود ، وهذه التسمية صادقة حقا على هذه الطيور، وكلمة (anthropos) على سبيل المثال تعني في اليونانية (الإنسان) يعيدها أفلاطون في محاورته المسماة (كراتيلوس) الى اصلها وهو (anathrom ha op open) ، أي المتطلع فيما يرى .

وقد كان لمدرسة الإسكندرية القديمة فضلها في حفظ الآثار الأدبية اليونانية القديمة ، بوجه خاص ، ففي الإسكندرية التي أصبحت مركزا للثقافة اليونانية ، كثرت الشروح في القرن 3 ق . م على أشعار هوميروس وأشعار سواه ، واهتم لغويو الإسكندرية بدراسة مفردات النصوص ومن ذلك جمع الألفاظ الصعبة والكلمات الشعرية ، أو الكلمات التي تنتمي إلى لهجات خاصة .

إذن فالإغريق كانت لهم صناعة معجمية متميزة ، فقد انتجوا عددا ضخما من المعاجم ، وتقول دائرة المعارف البريطانية أن " ذو ناكوس " قد اقتبس نصوصا من 35 عملا معجميا ، فقدت جميعا ، وكثير من المعاجم تم إنتاجه بالإسكندرية . ويعتبر العلماء أن القرون الأولى بعد الميلاد هي العصر الذهبي للمعاجم اليونانية ، وأشهر المعاجم اليونانية معجم أبو قراط " hippocrate " الذي ألفه " glacsus "عام 180 ق . م وهو معجم ألفبائي .

وكانت القواميس اليونانية شديدة التنوع : قواميس موضوعاتية .

قواميس شرح الكلمات الصعبة ، قواميس شرح ألفاظ اللهجات ، وأخرى تهتم بشرح الأشعار الهوميرية .

المراجع:

- محمود السعران ، علم اللغة

- أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب.

-أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور.